عبدالله بن احمد المنّاعي

من صفوة رجال اللؤلؤ في الخليج العربي

سيرة البداية :

هو عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن خليفة بن عبدالله البنعجمي المنّاعي . والده احمد ، بدأ حياته غواصاً ، ثم ترك مهنة البحر ليعمل في التجارة ، و لما توفر له المال اللازم ، اشتغل في تجارة الأراضي والعقار والنخيل . وصار من أثرياء البلاد وأعيانها المعروفين . وعُرف عنه تقديم القروض النقدية لكل من لديه حاجة ضرورية إلى ذلك ، مقابل رهن معين ، يرده طالبُ القرض في وقت معلوم متفق عليه ؛ كان ذلك من الأعمال المفيدة والمشروعةً ، التي اقتضتها الحاجة الاجتماعية، في غياب المصارف الحديثة آنذاك .

ولد عبدالله بن احمد في قرية قلالي عام 1902م ، ثم انتقل مع أبيه إلى المحرق وهو مايزال في سنوات عمره الأولى . والدته هي شريفة بنت علي بن سالم بن درويش المناعي ، التي توفيت أثناء عودتها من الحج ، وله أخ شقيق (خليفة) ، وإخوة وأخوات غيرأشقاء ، هم : راشد وعبدالرحمن وموزة ودرويش وسالم وشريفة وأمينة ونيلة وبدرية ومريم .

وفي سن الطفوله دخل الكتّاب (المطوَّع) وحفظ القرآن الكريم ، ولكن الفرصة لم تتح له تعلم القراءة والكتابة ، إذ لم يلتفت والده إلى أهمية ذلك ، وجعله يساعده في عمله التجاري . ولما بلغ عبدالله مرحلة الشباب تزوج من (لطيفة) ، شقيقة قريبه حسن بن يوسف المناعي ، وأنجب منها : خليفة ومحمد وبهية ونورة . وقد عاش حسن ، منذ صغره - هو وعائلته - في بيت عبدالله بعد وفاة والده . وقام عبدالله بإدخاله مدرسة السيد علي بالمحرق لتعلم القراءة والكتابة والحساب ومسك الدفاتر، وبعد الانتهاء من دراسته ، عمل كاتباً له ، يلازمه في عمله التجاري ويرافقه في الطواشة ، ويصحبه معه إلى الهند وبلدان الخليج العربي . ومن هذه الرفقة الطويلة تعلم (حسن) مهنة تجارة اللؤلؤ ، وبرع فيها ، وصار من أشهر الخبراء فيها .

نشأ عبدالله في بيت والده بالمحرق ، في فريج يقال له (فريج الباسي) ، ولما اشتغل بتجارة اللؤلؤ استقل عن أبيه ، واشترى له منزلا خاصاً به . وكان المنزل يضم إلى جانب سكن العائلة ، مجلساً تتقدمه باحة واسعة ، يستقبل فيه زواره ، ويُستخدم ، كذلك ، مكاناً لضيافة أصدقائه القادمين من بلدان الخليج المجاورة : من

الجبيل ومن تاروت ودبي والشارقة والكويت وغيرها . والمجلس مزود بكل مستلزمات الإقامة والمبيت للضيوف ، ويقدم لهم جميع وجبات الطعام ، فكان اشبه بفندق صغير؛ حيث لم يكن في البحرين آنذاك فنادق كثيرة يقيم فيها زوار البحرين ، كما أن الكثير من التجار والأعيان كان من عاداتهم السائدة استضافة زوارهم في مجالسهم المنزلية .

بداية العمل فى التجارة :

كان عبدالله يرافق والده منذ صغره ، ويساعده في شؤون تجارته ، وقد تكونت له خبرة لابأس بها في مجال التجارة . وبعد أن بلغ سن الشباب عزم على العمل في ميدان تجارة اللؤلؤ . وقد ساعده على تحقيق طموحه ، صديق لوالده ، يعمل في التجارة ، وكان الرجل ، كلما يلتقي به في سوق المحرق ، يبدي له وُدا وترحيبا طيبا ، ولا يكتفي بذلك ، إنما كان يعرض عليه المساعدة بنية صادقة . فسعى عبدالله إلى لقائه ، وطلب منه أن يغرضه مبلغاً من المال ليبدأ به مشروعه التجاري ، واعداً إياه بأن يرده خلال فترة قصيرة . وقد وثق به الرجل وأعطاه المبلغ الذي طلبه وقدره : أربعة آلاف روبية ، من العملات المعدنية ، مما اضطر عبدالله أن يستعين بحمال لنقل النقود إلى منزله.

وبعد أن حصل عبدالله على بغيته ، سارع إلى تنفيذ مشروعه ؛ فقام أولاً بشراء منزل خاص به ، وتجهيزه بالأثاث ، وبما يلزم من الأدوات ، ثم أحضر زوجته من بيت أبيه لتقيم معه . وبعد ذلك ، سعى إلى تأجير سفينة خشبية ، ووظف لها عدداً من البحارة . وما أن حلّ موسم الغوص حتى كان عبدالله من السباقين لدخول الطواشة ، واشترى ، بما تبقى معه من مال ، كمية من اللؤلؤ ، وعاد بها بعد ثلاثة أسابيع إلى البر، ليبيعها بربح كبير، سدد منه مبلغ القرض ، ورجعَ ثانية إلى المغاصات ليشتري كمية أخرى . وهكذا نجح عبدالله بأن يضع قدمه على أول طريق تجارة اللؤلؤ . وبفضل عزيمته وإرادته القوية في العمل ، أصبح واحداً من أبرز الشخصيات في هذا الميدان .

العمل في الطواشة :

يعتبرعبدالله بن أحمد المناعي من أبرزالطواشين وتجار اللؤلؤ في الخليج ، وفي مدينة بمبي بالهند أيضاً ، يقول عنه الوجيه راشد الزياني :

" الحاج عبدالله بن احمد المناعي ، كان رحمه الله من الطواشين البارزين النشيطين في زمانه . وعلاوة على كونه طواشاً ، إلا أنه كان يمارس تجارة اللؤلؤ في البلاد ويواصل ممارستها في الهند بعد انقضاء موسم الغوص في البحرين ." (1)

واستمر عبدالله يعمل في هذا المجال حتى وفاته. كما عُرف بأنه من أكبر ممولي الغواصين ، فكان يُقرض عدداً من نواخذة الغوص مقابل أن تكون له أولوية في عرض محصولهم من اللؤلؤ عليه ، فإن هو لم يشتره بالسعرالذي يُحددونه ، يكون لهم الحق في بيعه على آخرين غيره ، ومن ثم يسددون له ما عليهم من دين . ومن النواخذة الذين تعاملوا معه : عبدالله النعيمي ، وصالح بن محمد النعيمي ، وراشد بن سالم العبسي ، وحسن بن يوسف (من الحد) ، ومحمد الذوادي وصالح الكواري وعمير النعيمي ، ومعراج ... واعيال احمد ... وغيرهم .

برنامجه في الطواشة :

يحدثنا الأخ محمد ، الذي كان يرافق والده منذ صغره وحتى آواخر أيامه ، في جولات الطواشة في مغاصات اللؤلؤ ، وموانئ الخليج ، قائلا :

" كنا نخرج من البحرين ولا نعود إلاّ بعد شهر تقريباً . نتزود بكل ما نحتاج إليه من غذاء وناخذ معنا ذبيحة كاملة . وعندما نصل المغاص ندعو أول جماعة نلتقيها لتتغدى معنا . أما برنامجنا اليومي فيبدأ بالانطلاق من الميناء الذي بتنا فيه إلى فشت الجارم ، حيث نتجه إلى الهيرات القريبة . ونبدأ يومنا من الصباح بالتجول على سفن الغواصين الراسية في الهير، ونشتري ما يروق لنا من اللؤلؤ ، مستخدمين قارباً صغيراً (قلص) ، وفي المساء نعود إلى أحد الموانئ القريبة ؛ لأن والدي لا يحب المبيت في عرض البحر، خوفاً من العواصف والأخطار!.. وعادة مايكون ميناء دارين هو المكان المفضل . وفي صباح اليوم التالي نعاود الذهاب الى المغاص نفسه ، ولا نتركه إلا إذا انتهينا من التجوال على معظم سفنه ، ثم ننتقل الى مغاص اخر، ونعود الى الميناء القريب منه ، وهكذا .. وفي كل ميناء هناك فرصة للراحة ، واستقبال الدلالين والنواخذة ، الذين يعرضون علينا مالديهم من لؤلؤ، فنشتري منهم ما نرغب ، ونقيم لهم مأدبة غداء .

وعادةً ما تستغرق جولتنا ، في هيرات البحرين ودارين وما حولهما ، اسبوعاً تقريباً ، نتجه بعد ذلك إلى الجبيل ، ثم الكويت ، ونعود منها متبعين المسار نفسه للهيرات ، حتى الوصول إلى البحرين . ومدة كل رحلة طواشة ستة اسابيع تقريباً ، ونستمر حتى قفّال أهل البحرين . ومن أشهر المغاصات التي كنا نزورها : مغاصات : اشتية وبولثامة وبوعمامة و الميانة وغيرها ، الموجودة في بحر البحرين ، وفي الجبيل : المغاصات التي تقع بالقرب من جزيرة بوعلي ، شمال الجزيرة ، وهي تقع على بعد ساعتين باللنج من الجبيل ، وفيها عين ارتوازية يتزود منها الغوصون الماء العذب.

ويواصل الأخ محمد حديثه : ولا تنتهي رحلة الطواشة بالنسبة لنا مع قفال البحرين، فبعد أن نَخْلص من هيرات الشمال نتجه الى هيرات دبي لشراء اللؤلؤ ونبقى فيها حوالي شهرا . وكان الوالد في هذه الرحلات يستقل سفينة ذات محرّك آلي (لنج) ، ويجدر بالذكر - هنا - أن الوالد يُعدُّ من أوائل من وضع ماكينة آلية في السفن التي استخدمها للطواشة . ثم صار يسافر بواسطة المركب البخاري في جولاته التجارية إلى موانئ الخليج العربي .

اهتمامه بسفينة الطواشة :

يذكر عن عبدالله بن احمد أنه كان ممن يعتنون بمظهر سفنهم من الداخل والخارج، حيث تحظى سفينته بصيانة مستمرة لجميع أجزائها ، وتجديد ألوانها ، أما سطحها فيتم المحافظة عليه دائما نظيفا ، والجزء الخلفي منه (الفنة) ، يكون مفروشاً بالسجاد والدواشق والوسائد المريحة ، حيث يستخدم هذا القسم كمجلس ، ومكان استراحة ومنام لصاحب السفينة والنوخذه ومرافقيهما .

وفي عام 1955م أراد عبدالله استبدال سفينته القديمة بأخرى جديدة تُصنع له خصيصاً ، فلم يجد من يلبي طلبه في البحرين ، فسعى إلى استقدام أحد صناع السفن (محمد علي راشد) من راس الخيمة ، وجاء برفقة اخيه (علي) ، واستعان بعمال محليين مساعدين له . وكان موقع العمل عند شاطئ البحر الغربي المواجه لبيت عبدالله . ولقيت السفينة الجديدة إعجاباً من عدد من الأعيان والمسؤلين ، وقد تقدم بعضهم إلى محمد علي راشد بطلب صناعة سفن خاصة لهم . ومن أجل تلبية تلك الطلبات أحضر عائلته إلى المحرق وأقام عدة سنوات فيها . ومن اشهرمن صنع لهم سفناً في البحرين : الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة ، والأستاذ احمد العمران وغيرهم . أما اشهر سفينة صنعها في البحرين فكانت عام 1967م للشيخ عيسى بن سلمان حاكم البحرين آنذاك ، وهي من نوع (الشوعي) المستخدمة في صيد اللؤلؤ . وقد أُهديت هذه السفينة إلى ملكة بريطانيا ، حيث تم شحنها إلى هناك لتستقر في المتحف البريطاني العائم ، وماتزال موجودة فيه ، واعتُبرتْ من رموزالتراث البحري البحريني (2).

أبرز من تعامل معهم من التجار والدلالين :

كان عبدالله يشتري اللؤلؤ من عملاء كثيرين ، منهم : سعد السهلي وبن عتبان وهما من الكويت ، ومن الجبيل : جماعة من البوعينين ، ومن دارين : احمد بن هارون وعبدالرزاق بن هارون ومحمد بن صباح وسيف البنعلي ، ومن دبي : إرحمة الشامسي وبن فردان وصالح بن لوتاه وعمربن عويس .. ومن أشهر الذين

يشترون منه اللؤلؤ: عبدالرحمن بن حسن القصيبي ، ومنصورالعريض في البحرين ، ومن الدوحة : عبدالله الدرويش . أما أغلب محصوله من اللؤلؤ فيأخذه إلى بمبي لبيعه . ومن ابرز الدلالين الذين يتعامل معهم هناك : احمد بن عبدالرحمن الزياني ، ومن التجار الذين يشترون منه : محمد علي زينل ، والتاجر الفرنسي فكتور روزنتال ، وغيرهم من تجار هنود وأجانب . ويتميزعبدالله عن غيره ؛ كونه من التجارالذين ينفردون ببيع أجود أصناف اللؤلؤ وأفخرها ، التي يقبل على اقتنائها الأثرياء في الهند ، من طبقة الأعيان الموسرين والمهراجات ، ووكلاء بعض الأمراء والملوك من البلد العربية والأجنبية . ويذكر احمد بن عبدالرحمن الزياني في كتابه (سنوات التحدي) الحادثة التالية التي تشيرإلى ذلك :

" ذات يوم جاء عبدالله المناعي بصرتين من اللؤلؤ الممتاز ، ولكل منهما لون مختلف ، فأما محمد علي زينل ، فإنه لم يكن يرغب في شراء كل اللؤلؤ مباشرة ، ولكنه كان يريد لؤلؤتين بلونين مختلفين ، إلا أن عبدالله المناعي كان يريد البيع فورا ونقداً ، فتجمدت الصفقة عند هذا الحد حتى اتصلت بروزنتال ، فأخذتهُ المنافسة مع غريمه زينل ، وقال: إنه أيضا يريد شراء هاتين اللؤلؤتين . اشترى روزنتال المال كله بما فيه اللؤلؤتين ، فقط ليقطع الطريق على زينل ، فاتصلت بزينل وقلت له : إنْ أردتَ حبتيْ لؤلؤ فتعال . فقال لي : لمن بعتَ المال ؟ .. فقلت : لروزنتال .. فصاح مستنكراً : لماذا ؟! .. وبعد قليل من الأخذ والرد ، اقتنع بالقدوم إلى مكتب روزنتال للتفاهم . ولما أخبرت روزنتال بمقدم محمد علي زينل غضب مني ؛ لأن زينل رجل كبير في السن ، وليس من باب التوقير أن يأتي هو إلى مكتب روزنتال ، بل الواجب أن أذهب أنا وهو إلى زينل في المكان الذي يحدده ، ولكنني لم أكن أنظر إلى الإثنين على أنهما زبونين أومتنافسين ، بل كنت أتعامل معهما كصديقين . في المكتب اختصم الاثنان طويلا وكل منهما يريد الحبتين معا . وبعد طول نقاش تبين لي أن كلاً منهما قد أوصاه مهراجا مختلف بصنع عقد من اللؤلؤ، وكلا العقدين تنقصهما اللؤلؤة الكبيرة التي توضع في وسط العقد ، فلما عُرف السبب ، سهل الحل ، فأقنعتهما باقتسام الحبتين بينهما ، فالتفتا إلى بعضهما وعقدا اتفاقاً ، بل وبالغا في الأمر إلى درجة أن ظل كلٌ منهما يقول للآخر: ضع المبلغ الذي يرضيك وأنا أقبل به . فتدخلتُ من جديد وقلتُ لهما أن يكتب كلٌ منهما المبلغ الذي يقترحه وأنا أفصِلْ بينهما ، وهذا ما حدث ، وهذه أيضا كانت آخر صفقة لي في اللؤلؤ ، وفي الهند أيضاً ، حيث غادرناها جميعاً بعد ذلك ." (3) .

أماكن لقاءاته وتعاملاته التجارية:

أما أهم الأماكن التي كان عبدالله يرتادها ، فهي قهوة الطواويش الشهيرة في المنامة ، التي يجتمع فيها صفوة القوم من التجار وبائعي اللؤلؤ ، يتبادلون فيها الحديث حول شؤون اللؤلؤ وتجارته وأخباره ، وتعقد فيها أحياناً صفقات تجارية مهمة ، وهي كذلك مركز استقبال الضيوف الوافدين من خارج البلاد.

كما كان يجلس أيضاً ، في مكتب عبدالرحمن حسن القصيبي (سفير السعودية آنذاك) ، وعند الظهر يذهب إلى بيت منصور العريض ، القريب من قهوة الطواويش ، لتناول الغداء مع مجموعة من التجار القادمين من مختلف الأماكن في البحرين ؛ حيث لاتوجد في ذلك الوقت وسائل نقل كثيرة ، تيسر لهم الذهاب إلى بيوتهم للراحة وتناول الغداء ، ومن ثم العودة إلى استكمال أعمالهم في المنامة . وبعد أداء صلاة العصر يعود عبدالله وجماعته إلى منازلهم في المحرق .

أما في المحرق ، فقد كان عبدالله يتردد على قهوة الطواويش ، الواقعة وسط السوق القديم ، التي كان يرتادها العديد من تجاراللؤلؤ ونواخذة الغوص في جزيرة المحرق ، منهم : جبر المسلم ، وخليفة وأحمد بن مطر ، وجماعة الزياينة ، وعدد من المنانعة منهم : جماعة البنهندي (عيسى وعلي وعبدالله ويوسف) ، وحسن بن يوسف وعبدالله بن عيسى .. وإلى جانب قهوة الطواويش يوجد مقهى آخر، يجتمع فيه البحارة ، ويتبادلون شؤونهم وقضاياهم الخاصة.

رحلاته التجارية إلى الهند :

عبدالله بن أحمد ، واحد من كوكبة مشاهير من تجار اللؤلؤ من قبيلة المنانعة، كان لبعضهم السبق والريادة في السفر إلى الهند والإقامة فيها مدة طويلة من الزمن ، منهم : سلطان بن محمد المناعي ، صاحب كتاب أوزان اللؤلؤ، الذي أقام في بمبي منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر وحتى وفاته عام 1909م ، وكان له ، إلى جانب ذلك ، دور ثقافي واجتماعي فيها ، والتاجر الإماراتي عبدالله بن احمد بن علي المناعي من رأس الخيمة ، ومن البحرين محمد بن راشد بن هندي المناعي ، وابنه صالح وولده عيسى ، وعبدالله بن عيسى ، وحسن بن يوسف ، وغيرهم من المنانعة المنتشرين في بلدان الخليج ..(4)

كان عبدالله بعد أن يشتري اللؤلؤ من الغواصين يسعى الى بيعه أولاً في البحرين على التجار أو الدلالين ، وبعد انقضاء فترة الصيف يسافر إلى بمبي لبيع ما لديه من اللؤلؤ ، مستقلا السفن البخارية الكبيرة المعروفة بـ (المراكب) ، التي يستغرق السفر، عن طريقها ، ما يقرب من اسبوعين . وأثناء سفره يأخذ معه طباخاً ومساعدين ، ويقوم باستضافة جميع زملائه المسافرين معه ؛ حيث يقدم لهم الوجبات طوال اليوم . ويقيم هناك حوالي أربعة اشهر ، ولايعود إلا بعد أن يبيع كل مالديه من اللؤلؤ ، ويشتري بالملغ لؤلؤاً آخر، من النوع الذي تُعمل منه العقود التي ترتديها النساء ، حيث يقوم ببيعه في البحرين على وكلاء يصدرونه إلى العراق وأوربا . ويرتاد البحرين بعض التجارالأوربيين لشراء اللؤلؤ والعقود ، حيث ياخذونه إلى أوربا لبيعه اوتصنيعه ، ومن أشهر هؤلاء : فكتورروزنتال ، وهو

تاجر فرنسي ، وألبرت حبيب ، ويعقوب صوفر وغيرهم .. ، وبعضهم لهم مكاتب في المنامة .

كان لعبدالله في بمبي مكتب تجاري ، في منطقة يُطلق عليها (مسافرخانة)، يرتاده عدد كبير من زملائه التجارمن عرب وهنود ، ويقضون فيه يومهم من الصباح وحتى المساء ، ويقوم خلاله بتقديم وجبات الغذاء لهم . وكان حريصاً على أن يجتمع المقيمون العرب في مكان واحد ، حفاظاً على أواصر الصداقة بينهم ، وتوثيقا للرابطة القومية ، حتى أنه يضيق صدره من أي زميل له يحاول أن يفتح مكانا آخر للتجمع ، حيث يرى فيه سبيلا للتفرقة ، لذا كان يسعى إلى إقناع من يقدم على ذلك بالتخلي عن مشروعه .

وظل عبدالله يسافر إلى الهند من أجل تجارة اللؤلؤ إلى ما قبل سنوات قليلة من وفاته ، ولكنه استمر يمارس الطواشة والتجارة في نطاق منطقة الخليج .

حياته التجارية والاجتماعية في الهند :

صارتْ مدينة بمبي بالهند ، منذ منتصف القرن السابع عشر الميلاد تقريبا، مقصدا لكثير من تجار العرب من الخليج ، حيث كانوا في نهاية كل موسم غوص يتوجهون إليها لبيع ما لديهم من لؤلؤ في اسواقها الكبيرة ، ومنها ، أيضاً ، يتم تسويقه أو تصديره إلى دول العالم الأخرى ، ويتواجد فيها تجار ودلالون هنود وأجانب يعملون في هذا المجال . كما يقوم التجار الخليجيون ، بما كسبوه من مال ، بشراء عقود اللؤلؤ والمصوغات الذهبية لبيعها في بلدانهم ، أوتصديرها إلى العراق وفرنسا وغيرها من البلدان الأوربية .

وقد طاب لعدد كبير من هؤلاء التجار الاستقرار والعيش في بمبي ، وقاموا بفتح مكاتب ووكالات تجارية لهم ، لشراء وبيع اللؤلؤ القادم من منطقة الخليج . واسسوا جاليات عربية نشطة في بمبي ، لعبت دوراً كبيراً في ازدهار تجارة اللؤلؤ فيها ، وبفضلهم أصبحت مركزاً تجارياً هاماً ، جذب إليه كبار التجار، من الهنود والأوربيين ، وغيرهم من الجنسيات . وكانت لهم أيضاً أنشطتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية التي يحيونها في مجالسهم ونواديهم الخاصة ، وكان لها الأثر البارز في توطيد علاقات التآلف والتعاون فيما بينهم من جهة ، وتوثيق التقارب بين العرب والهنود من جهة ثانية .

وكان عبدالله شخصية بارزة في مجتمع التجار العرب بالهند ، وله علاقات معروفة وصداقات تربطه برجال الطبقة الراقية في الهند ؛ من سياسيين وعسكريين ودبلوماسيين ، ومسؤولين حكوميين كبار ، ويحظى لديهم باحترام وتقدير، وهم

يحرصون على دعوته في المناسبات الرسمية ، وعلى حضوره لاستقبال الضيوف من الرؤساء والشخصيات العربية المشهورة التي تزور الهند . ومن اشهر هؤلاء الزوار: الرئيس السوري شكري القوتلي ، الذي قَدِم إلى مدينة بمبي في السابع من يناير1957 عام ، وكان عبدالله في مقدمة أعضاء وفد التجار والمقيمين العرب هناك . وأتاحت له مكانته تلك ، القيام بدور مهم ومشرّف ؛ تمثل في حل القضايا والتعقيدات التي كان العرب يواجهونها خلال أقامتهم أومعاملاتهم التجارية .

مشاركته في قضية منع دخول اللؤلؤ إلى الهند:

أصيبت تجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج منذ عشرينيات القرن الماضي بنكسات مؤثرة ، من أبرزها انتشار اللؤلؤ الصناعي ، الذي أدى إلى تدهور مهنة الغوص على اللؤلؤ وتجارته ، واستمر حتى أواخر الخمسينيات ، ولم تسطع حكومات المنطقة ، في هذه الفترة ، منعه أو الحَدِّ من انتشاره ، وقضى في النهاية على المهنة الأساسية والتجارة التاريخية القديمة لسكان الخليج العربي .

ومن أكبر تداعيات هذه النكبة قيام حكومة الهند في يونيو عام 1947 بمنع استيراد بعض البضائع غير الضرورية ، وعلى رأسها اللؤلؤ ، وذلك لحماية اقتصادها الحر ، الذي اعتمدته بعد استقلالها في العام نفسه . وشكل هذا الحظر ضربة قاصمة أخرى لمهنة تجارة اللؤلؤ ، التى أخذت تفقد جدواها وتوشك على الانقراض .

وإزاء هذا القرار القاسي ، هب عددٌ من التجار في البحرين - كان من ضمنهم عبدالله بن احمد - إلى رفع شكوى إلى حكومة البحرين ، عبّروا فيها عن طلبهم بالتدخل لدى الحكومة الهندية ، من أجل إعادة فتح أسواق الهند التي أغلقت أبوابها أمام تجارتهم ، التي تُعدُّ مصدر رزقهم ، والمورد الأساس في انتعاش اقتصاد بلادهم . وجاء في رسالتهم التي وجّهوها إلى الشيخ سلمان بن حمد حاكم البلاد آنذاك ، مايلي :

".. نرفع إلى عظمة حاكمنا المفدى ، أنه جاءت الأنباء من الهند تفيد أنّ حكومتها قررت منع دخول اللؤلؤ إلى الهند بعد 30 يونيو1947م الموافق 11شعبان 1366هـ ، وقد أقلقت هذه الأخبار أفكارنا ، إذ أنه لايخفى على عظمتكم أن مركز تجارة اللؤلؤ منذ مئات السنين هو الهند ، وأن منع دخول اللؤلؤ إلى الهند كارثة عظمى علينا وعلى كل من يتعاطى هذا العمل . وها أنه منذ وصول هذه الأخبار إلى طرفنا توقف التجار عن البيع والشراء وقد يتوقف العمل توقفاً تاماً ، فلا يعلم إلاّ الله ماهو مصيرنا ومصير تجارة هذه البلاد الرئيسية ، لذلك جئنا بكتابنا هذا إلى عظمتكم راجين النظر في دفع هذا الضرر عنا وعن هذه التجارة التاريخية القديمة التي يعتمد عليها ويعيش من ورائها غالبية شعبكم .. (5)

وقد رفع الشيخ سلمان شكوى التجار هذه إلى المعتمدية البريطانية التي بدورها خاطبت حكومة الهند حول الموضوع ، ولكن الجهود لم تفلحْ في إقناع حكومة الهند بالتخلي عن قرارها . ولا شك أن قرار الحظر هذا كان له الأثر الكبير في التعجيل بنهاية تجارة اللؤلؤ وركود الاقتصاد في بلدان الخليج . وكان من انعكاساته السلبية على التجار؛ أن تراكم لديهم اللؤلؤ ، وسُدت أمامهم أبواب بيعه ، مما أودى إلى إفلاس العديد منهم ، ولم ينجُ منهم إلا القليل ، ممن استثمروا جزءاً من أموالهم في مجالات تجارية أخرى . كما خلّف تردي الحالة الاقتصادية ، أيضاً ، انتشار البطالة، وازدياد عدد الفقراء ، وإلى هجرة الأفراد والعائلات من مكان إلى آخر بحثا عن مصدررزق .

<u>مواقف وحكايات طريفة من حياته :</u>

1- حكاية دانة الجبيل :

من المواقف الطريفة التي يتذكرها ابنه محمد ، الذي كان يلازمه في الطواشة ، ويرافقه في جولاته وزياراته التجارية في البحرين وخارجها ، هذا الموقف : يقول الأخ محمد :

" اشترى والدي دانة من الجبيل من عند دلال يُدعى عيد بن جبران ، وأراد أن يخفي خبرها عن تجار البحرين لكي يأخذها الى الهند ليبيعها بسعر أكبر . ولمْ أكن أعلم بما كان ينوينه والدي حول ذلك ! وصادف أيامها أن ذهبتُ إلى مكتب عبدالرحمن القصيبي أبحث عن والدي ، فلما سلمتُ ، سألني السيد القصيبي عن حال أبي ، وهل اشترى شيئا أثناء طواشته إلى الجبيل ، فاخبرته عن اللؤلؤة التي حصل عليها والدي ، وحين جاء أبي إليه قال له القصيبي : أنا طالبك طلب فلا تردني ، وأكمل قائلا : علمتُ أن عندك دانة اشتريتها من الجبيل ؟ ففوجئ أبي وحاول نفي الخبر، ولكن القصيبي قال له : أنّ ولدك محمداً اخبرني بذلك !.. فلم يجد والدي مهرباً من الاعتراف ، وعرضها على القصيبي الذي اشتراها في الحال !.. وقد عاتبني والدي على ذلك ، فقلت له : إنك لم تخبرني بما كنتَ تنويه بها ، وقد تصرفت بحسن نية !.

2- **<u>نبوءة قارئ الكف</u>** :

حدثت هذه الحكاية ، عندما كان عبدالله في الهند ، مسافراً في أحد الأيام من بمبي إلى مدينة مجاورة ، وما أن استقر في مقعده في القطار، لاحظ أحد الركاب الهنود ، بالقرب منه ، يرمقة بنظرة غيرعادية ، فبادره عبدالله بالتحية ، ثم سأله : أراك تنظر إليَّ ، هل تعرفني؟ قال له كلا ، فأجابه عبدالله : إذاً لماذا تنظر إليّ هكذا ؟ قال

الرجل : هل تسمح لي أن أقرأ لك الكف ؟ .. تردد عبدالله في الاستجابة لهذا الطلب الغريب ، الذي لا يعتقد بصدقيته !!.. غير أنّ الرجل ألحّ عليه ، مطمْئناً إياه بأن لايذكرأمراً يتسبب في إزعاجه ، فاستجاب عبدالله ، وبسط له كفه ، وبعد تأمل قليل في قراءة خطوطه ، قال له الرجل : ستنجب عيالاً كثيرين ، ولكن لنْ يعيش منهم إلاّ ابنتان وولدان ، وستحصل من تجارتك على ارباح وفيرة ، تصاحبها خسائر متتالية تحُول دونَ أنْ تكوّن ثروة كبيرة ، وسيستمر بك الحال إلى أن تبلغ الأربعين من العمر، حينها سيأتيك خير كثير ، تسعد به فيما تبقى من أيام حياتك !.

يقول الأخ محمد : " الغريب في الأمر، أن كل ماتنبأ به الرجل تحقق فعلاً ؛ فقد أنجب الوالد بعد الأربعين عشرة أبناء ، لم يعشْ منهم إلّا أنا وأخي خليفة وأختاي بهية ونورة ، وحين بلغ أبي الأربعين من العمر صار يربح في تجارته ، ولم يواجه خسائر تذكر!.

3- <u>تفاؤله بولده محمد</u> :

ويذكر الأخ محمد : أن والده اعتاد أن يصحبه معه في الطواشة منذ صغر- وهذا أمرعادي كان يمارسه العديد من التجار ونواخذة الغوص لتدريب أبنائهم منذ طفولتهم على العمل - ولكن الأمر الذي كنت استغرب منه ، هو إصراره على حضوري أي صفقة تجارية في اللؤلؤ ، خاصة حين ما يكون مقبلا على شراء دانة ثمينة ؛ فكان أثناء إتمام الصفقة يناديني لأقترب منه ، و يطلب مني أنْ افتح كفي ، ويقوم بوضع الدانة فيها لحظات ثم يستردها ، ويشيرعليَّ بالعودة إلى مكاني ! . ومع تكرار هذه الحركة صرتُ أُحرَجُ أمام الجالسين ، الذين لاحظت أنهم لايرون فيها فعلا مستغرباً ! أما أنا فالأمرعندي غيرمفهوم ، واحترامي لوالدي يمنعني من الاستفسار عنه !.. مما دعاني أن أخبر والدتي بذلك . وحين سألتْ أمي والدي عن الموضوع ، أجابها بأنه يتفاءل بي ، وحكى لها القصة : قال : كنتُ غائباً في بمبي عند ولادة ابني محمد ، وكانت تلك الأيام هي من اسوأ فترات بيع اللؤلؤ ؛ حيث كسدت أسواقه في الهند ، بسبب الآثار التي خلفتها الحرب العالمية الثانية على الإقتصاد العالمي ، وما أصاب تجارة اللؤلؤ الطبيعي من جمود ، نتيجة عزوف التجار والأثرياء الهنود عن اقتنائه. وصادف أنه في اليوم الذي بعث إليَّ الخال عيسى بن علي برقية يبلغني فيها بإنجاب ولدٍ ليْ أسموه (محمداً) ، أن حالفني الحظ ؛ فبعتُ كل ما عندي من لؤلؤ ، وكنت الوحيد بين زملائي التجار ممن حصل معه ذلك . وصرتُ منذ ذلك اليوم أتفاءل بحضور ولدي محمد ، وأحرص أن يكون بصحبتي لمباركة صفقاتي التجارية .

4- مع النوخذة علي بن احمد :

يذكرالأخ محمد هذا الموقف الطريف الذي حصل لهم وهم متوجهون بسفينتهم من الدوحة إلى دبي ، يقول : " كان العم علي بن أحمد المناعي هو نوخذة سفينتنا في ذلك الوقت ، وقد عُرف عنه درايته بمسالك البحر وإدراك أعماقه من دون الاستعانة بأي دليل إرشادي أو أدوات قياس بحرية ؟! ، وكان مسيرنا وقت الضحى ، وبعد تحركنا بقليل هبّتْ علينا رياح الكوس القوية ، ودخل المساء والسفينة تصارع الأمواج ، وتتلاعب بها يميناً ويساراً . ونحن على هذه الحال ، إذ أقبل بعض البحارة يخبرون والدي (عبدالله) بأن النوخذة (علي) يسير في الاتجاه الخطأ !.. وتوجه الوالد إلى العم (علي) يخبره بما يقوله البحارة !.. حين سمع العم (علي) ذلك، طلب من الميكانيكي سائق اللنج إيقافها ، وأمرأحد البحارة بإحضار البِلد (*) ، وقبل الشروع في إلقائه ، إلتفت إلى البحارة قائلاً : إذا لم يكنْ عمق البحر ثمانية عشر ذراعاً ، سألقي بنفسي في البحر!!.. وأصيب الجميع بالذهول والحرج ؛ لأن العم علي معروف بجرأته وانفعاله ، فماذا لو حصل الخطأ فعلاً، ونفّذ ما وعَدَ به ؟! ".. يقول الأخ محمد : ذاك موقف لا أنساه أبداً ! .. وحاول والدي والبحارة تهدئة النوخذة (علي) والعدول عن قراره ، إلا أنه أصرّ على تنفيذه ، وتم إلقاء (البِلد) في البحر ، ونحن في حالة قلق شديد ! ثم تم إخراجه ، وبحساب علامات القياس على حبل (البِلد) تبيّن فعلاً أن عمق البحرأسفل السفينة 18 ذراعا بالضبط ! وتنفس الجميع الصعداء ، شاكرين الله على تخطي هذا الموقف الصعب ، وكذلك على انحسار تلك الريح المزعجة !! وواصلت السفينة سيرها الى دبي في أمان واطمئنان .

5- حول وثيقة ملكيّة قلالي:

من المعروف تاريخياً أن تأسيس قرية قلالي تم على يد الشيخ سالم بن درويش ، رئيس قبيلة المنانعة ، وذلك في بداية حكم الشيخين محمد وعلي ابني خليفة بن سلمان في أربعينيات القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد حصل الشيخ سالم على الأرض هبة منهما ، وقد شهد عدد من معمري المنانعة بوجود وثيقة ملكية لها ، مكتوبة ومصدقة رسمياً منهما . وبعد وفاة الشيخ سالم تداولها ابناؤه ثم أحفاده ، إلى أن استقرت عند حفيده حسن بن محمد المناعي . وعندما عَلِم الشيخ سلمان بوجود الوثيقة عند المذكور، وسمع أنه يتصرف في منح الأراضي لأقربائه وأبناء عشيرته ، استدعى عبدالله بن احمد وقال له : قل لقريبك حسن : أنه ليس من حقه أن يتصرف في أراضي قلالي ، وأن يكفَّ عن هبتها لمن يشاء ؟ .. رد عليه عبدالله : إن الرجل لديه وثيقة ملكية ، وَرَثها عن جدّه ، ثم إنك ، لِمَ تخاطبني أنا ، لماذا لا

تكلمه بنفسك ، فأنت الحاكم !.. قال الشيخ سلمان : أنت كبير المنانعة وأريدك أن تتوسط ، أطلبْ منه أن يزورني ، ويحضر الوثيقة معه ، لأتأكد فقط ، من وجودها عنده !.. ولم يجد (عبدالله) بُـدّاً من إبلاغ حسن بن محمد بما دار بينه وبين الشيخ سلمان . فقام حسن بزيارة الشيخ سلمان حاملاً معه الوثيقة ، وطلب الشيخ منه أن يريه إياها ، فسلمها حسن إليه ، بنية أن يطلع عليها ويعيدها له !.. غير أن الشيخ لم يردها واحتفظ بها ، مذكراً إياه : أن هذه الأراضي هي ملك للحكومة الآن !.. وما وهبته منها لأبنائك وأقاربك لن تصادر، وإنما ستبقى ملكاً لهم ، وسيتم توثيقها في السجل العقاري .

6- من قضايا النزاع حول الأراضي :

كان عبدالله يملك عدداً من النخيل ، وبعض الأراضي ، ولم يكن مهتما كثيرا بتملك العقار. وقد حدثت له قضية نزاع حول بيت اشتراه من أحد أفراد العائلة الحاكمة ، وملخصها : (أن عبد الله اشترى بيتاً من أحد الشيوخ ويدعى (حمد بن عبدالله بن عيسى) بمبلغ خمسين ألف روبية ، وبعد اتمام البيعة ، علم أن شيخاً آخركان طامعاً في شرائه ، ولكن البائع فضل أن يبيعه على عبدالله! فاحتج الشيخ - الذي لم يحصل على البيت - عند الشيخ سلمان ، حاكم البلد آنذاك !.. إلا أن الشيخ سلمان طلب من عبدالله الاحتفاظ بالبيت مادام صار في ملكه. وفي إحدى الليالي فوجئ عبدالله بن أحمد بزيارة الشيخ عبدالله بن عيسى إلى مجلسه ، طالباً منه أن يتنازل عن البيت للشيخ المذكور، ووعد بأن يؤمن له ثمن البيت الذي اشتراه حالا !! .. ووجد عبدالله بن احمد نفسه محرجاً أمام طلب الشيخ عبدالله ، فاستجاب له وسلمه وثيقة البيت . غير أن الشيخ عبدالله لم يفي بوعده ، وأخذ يماطل في تسليم المبلغ !. مما اضطر عبدالله إلى رفع شكواه إلى الشيخ سلمان ، ولكن الشيخ عاتبه قائلا : سبق وأن قلت لك احتفظ به ولاتسلمه لأحدا فلماذا تأتيني الآن ؟!..رد عليه عبدالله : إن عمّك زارني في مجلسي ، وطلب مني التنازل عن البيت للشيخ المذكور ، فهل من اللائق أن أرد له طلب ؟! .. وحين وجد عبدالله من الشيخ سلمان انزعاجا من الموضوع ، ومحاولة لإلقاء اللوم عليه ، أخبره بأنه سيلجأ إلى رفع شكواه إلى بلجريف (مستشار حكومة البحرين آنذاك) ..! وحين وصل الخبر إلى الشيخ عبدالله بن عيسى ، سارع في الحال بإرسال المبلغ المستحق عليه .

مكانته عند الشيخ سلمان :

بالرغم من بعض المواقف الخلافية التي حصلت بين عبدالله بن أحمد والشيخ سلمان ، إلا أن العلاقة بينها كانت ودية يسودها التقدير والاحترام ؛ فكان الشيخ يعتبرعبدالله من كبار أعيان المنانعة ، ومن تجار البلاد البارزين ، ومن الذين يعتز

بمساهماتهم في تطويرانظمة الغوص وتجارة اللؤلؤ وحل قضاياها ، ومما يدل على ذلك ، أنه كان يعرض عليه عضوية مجلس الغوص ، وقد قبلها (عبدالله) مرة واحدة ثم صاريعتذرعن قبولها !.. فلما سأله الشيخ عن سبب ذلك ؟ قال له : إنني إنسان صريح ، وإذا حضرت في المجلس ، فقد أقول كلاماً لايعجبكم ! .. لذا لا أريد إحراج الحكومة !.

العلاقة الحميمية مع خاله عيسى بن علي :

علاقتة مع خاله عيسى بن علي كانت مميزة ، تسودها المحبة والعطف الأبوي ؛ حيث تربطه بخاله علاقة قرابة ، فهو شقيق شيخة بنت علي بن سالم ، زوجة يوسف بن حسن بن رحمة البنبادي المناعي ، الذي من ابنائه : لطيفة وعائشة وسبيكة ولولوة وحسن) . وبعد وفاة يوسف ، طلب عبدالله من شيخة وأبنائها الانتقال للسكن معه في بيته ، فكان شقيقها (عيسى بن علي) يزورهم في بيت عبدالله يومياً ، وهذا ما وطد علاقة الود بين الرجلين . وكان عيسى دائم السؤال عن عبدالله ، وكثير التواصل معه ، عندما يسافر إلى الهند لبيع اللؤلؤ ، وتشهد الرسائل المتبادلة بينهما على عمق المشاعر الأخوية التي يكنها كل منهما للآخر.

وفـاتـه:

بقي عبدالله يعمل في الطواشة وتجارة اللؤلؤ حتى السنوات الأخيرة من حياته ، وتوفي عن عمرلايتجاوز58 عاماً . وكانت وفاته في أول رمضان سنة 1379هـ الموافق 7 فبراير 1960م.

إعداد : احمد علي المناعي

.....

الهوامش :

*** المصدر الرئيسي للسيرة : مقابلة مع محمد بن عبدالله بن احمد المناعي – في منزله بتاريخ 16 مايو 2015م ، والوثائق المرفقة بالموضوع .**

1- مؤلف كتاب (الغوص والطواشة) - ص115

2- راجع كتاب (صفحات من ماضي الامارات) – علي محمد راشد - ص 18 و 19 .

3- كتاب (سنوات التحدي) – احمد عبدالرحمن الزياني - ص 205و 206 .

4- راجع سير بعض هؤلاء في موقع المنانعة .

5- السجلات البريطانية عن البحرين .

الملاحق - صور ووثائق:

- مع شكري القوتلي

- صورة من جواز سفره

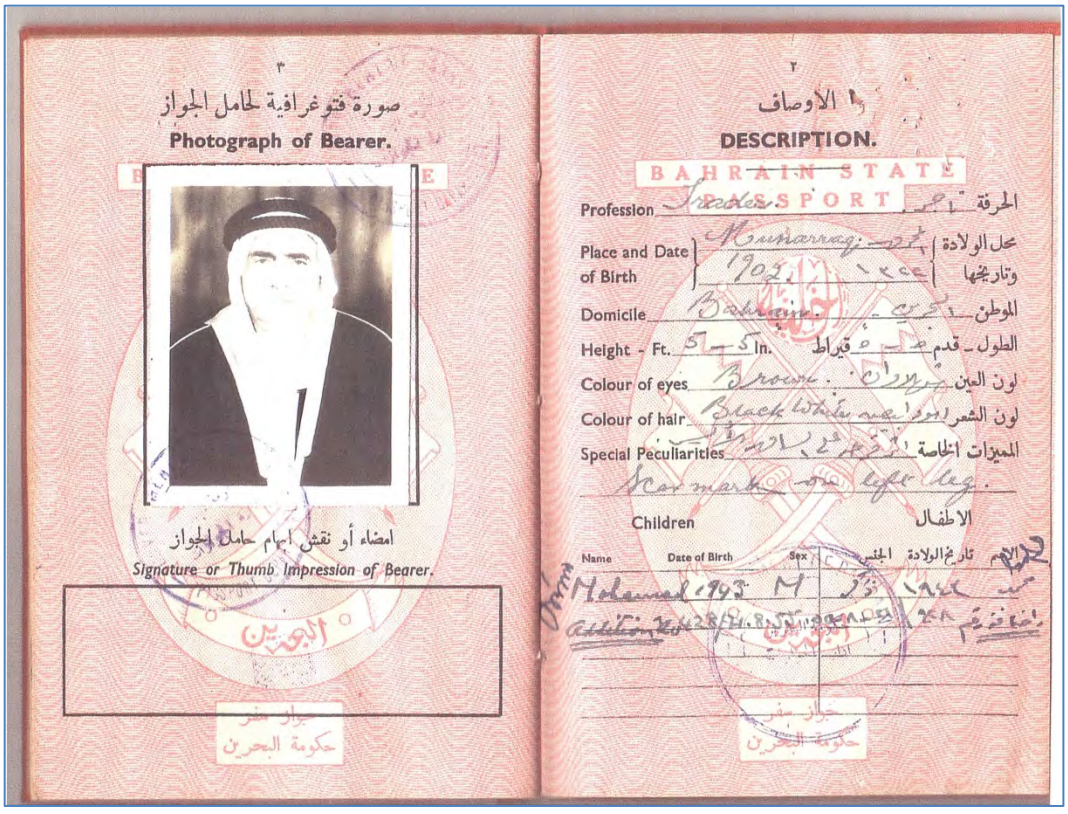

- وثيقة منع دخول اللؤلؤ

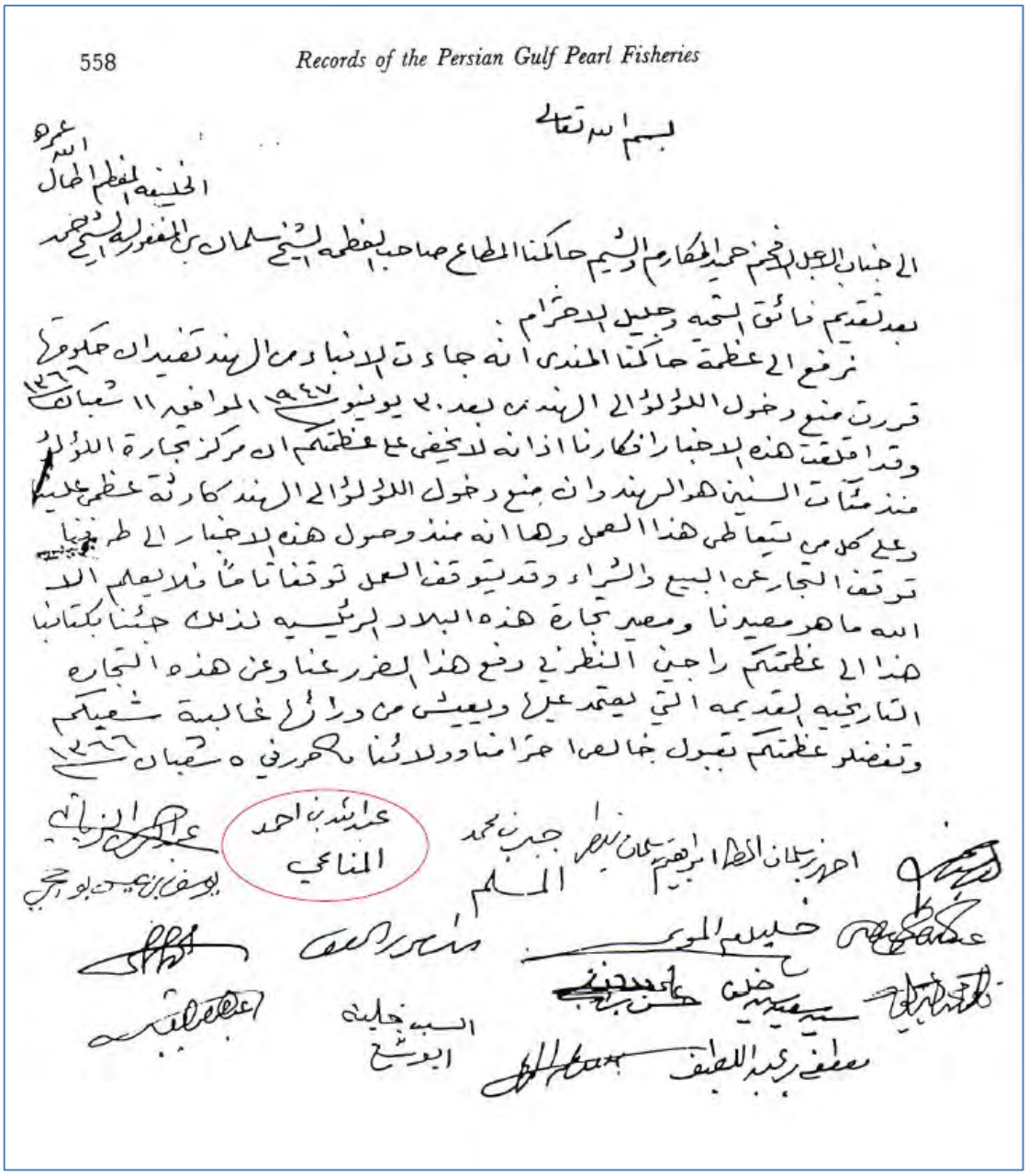

558 *Records of the Persian Gulf Pearl Fisheries*

بسم الله تعالى

عزه الله الخليفه المفخم المعظم المهال

الى جناب العز الفخم الهمام الفخيم حاكمنا المطاع صاحب العظمه الشيخ سلمان بن المغفور له الشيخ حمد

بعد تقديم فائق الشكر وجزيل الاحترام

نرفع الى عظمة حاكمنا المفدى انه جاءت الينا من الهند تفيد ان حكومة قررت منع دخول اللؤلؤ الى الهند من بعد ٢٠ يونيو ١٩٤٧ الموافق ١١ شعبان ١٣٦٦ وقد اقلقت هذه الاخبار افكارنا اذ انه لا يخفى على عظمتكم ان مركز تجارة اللؤلؤ منذ مئات السنين هو الهند وان منع دخول اللؤلؤ الى الهند كارثة عظمى علينا وعلى كل من يتعاطى هذا العمل ولها انه منذ وصول هذه الاخبار الى الطرفين توقف التجار عن البيع والشراء وقد يتوقف العمل توقفا تاما فلا يعلم الا الله ما هو مصيرنا ومصير تجارة هذه البلاد الرئيسيه لذلك جئنا بكتابنا هذا الى عظمتكم راجين النظر في رفع هذا الضرر عنا وعن هذه التجاره التاريخيه القديمه التي يعتمد عليها ويعيش من ورائها غالبية شعبكم وتفضلوا عظمتكم بقبول خالص احترامنا وولائنا حرر في ٥ شعبان ١٣٦٦

عبدالله بن احمد المناعي

- رساله من خاله عيسى بن علي المناعي

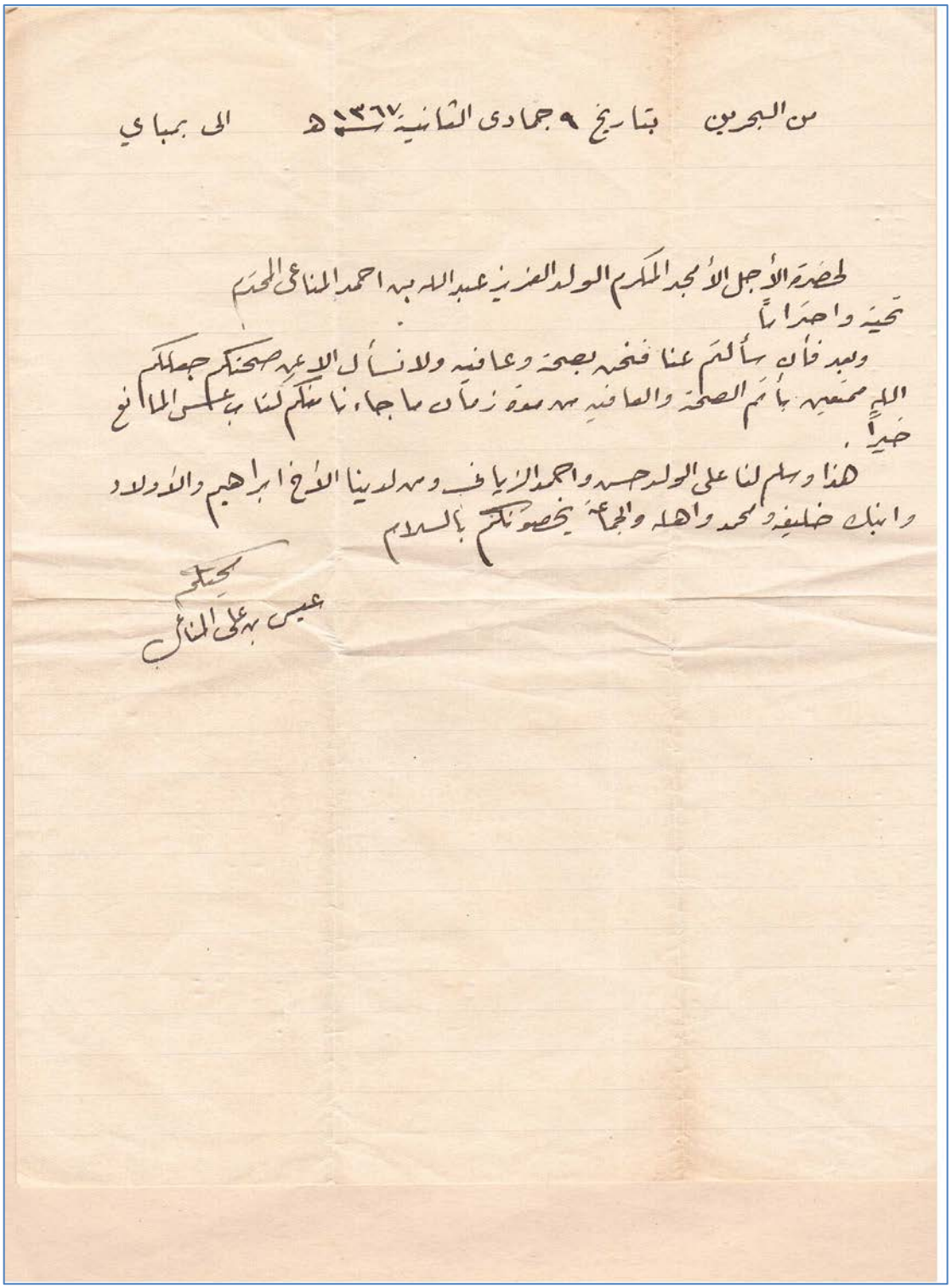

من البحرين بتاريخ ٩ جمادى الثانية ١٣٦٧هـ الى بمباي

لحضرة الأجل الأمجد المكرم الولد العزيز عبد الله بن احمد المناعي المحترم

تحية واحتراماً

وبعد فان سألتم عنا فنحن بصحة وعافية ولا نسأل الا عن صحتكم جعلكم الله ممتعين بأتم الصحة والعافية بهذه المدة زمان ما جاءنا منكم لنا بخاطر على الطابع خير.

هذا وسلم لنا على الولد حسن واحمد الزياف وبهلدينا الشيخ ابراهيم والاولاد وابنك خليفة ومحمد واهله والجماعة يخصونكم بالسلام

تحياتي

عيسى بن علي المناعي

-رسالة منه الى خاله عيسى بن علي المناعي

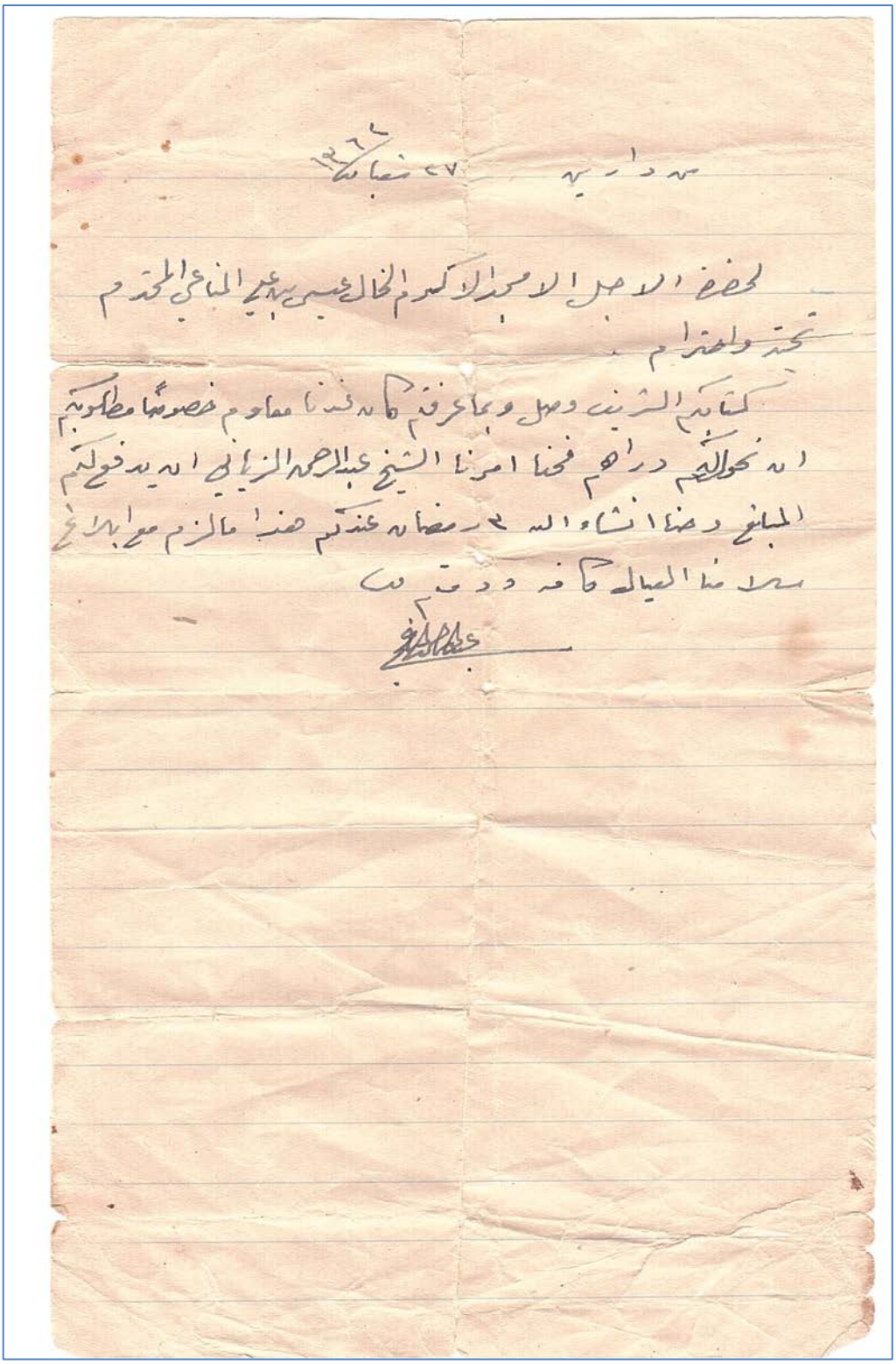

لحضرة الاصيل الامجد الاكرم الخال عيسى بن علي المناعي المحترم
تحية واحترام.
كتابكم الشريف وصل وبما عرفتم كامد فدنا معاوم خصوصًا مطلوبة
الد نحوالكم دراهم فخذا امرنا الشيخ عبدالرحمن الزايلي الد يدفعلكم
المبلغ وضا انشاء الله ٢٠ رمضان عندكم ضد ما لزم معي ابلاغ
سعادة العيال كافه ودمتم
عبدالله

- رسالة إليه من عبدالرحمن الزياني